من ضرائب على الممتلكات ، وضرائب الميراث والدخل وغيرها

ويلاحظ أن الحكومة المركزية قد تمد يد المساعدة إلى حكومة الولايات فتساهم معها في المحافظة على طرق النقل وفي إنشائها ، وقد تعمل على رفع مستوى التعليم بها ، ويتلقى عدد كبير من الولايات مساعدات من الحكومة الاتحادية ، ومقادير من المال تنفق في أغراض خاصة

بهذا ينتهي وصف نظام الحكم في الولاية ، أما نظام الحكومة المركزية أو الاتحادية فسنتناوله بالبحث في مقالنا التالي إن شاء الله

أبو الشرع عطيفة

رحلة إلى الحجاز

للشيخ مصطفى البكري الصديقي

للأستاذ سامح الخالدي

— ٣ —

أذية الأعراب للحج :

ولما مال تبان الليل ، وزاد في الشوق الـكيل ، تلقانا الفقرا من أهلها مبشرين بإسعاد وطول ذيل ، قائلين وقد عا الليل ، مسفرة ياحجاج والليالي سعود ، فيا أحلاها من بشارة تقود الفؤاد المفؤود إلى نسيان أتعاب للالتهاب تذود ، وكان حصل من العرب بل الأعراب ، بعض أذية للحج أوجبت ضياع أسباب ، وبهؤلاء الخدام زال الإعدام ، وجاء الإيسار والبسط التام ، وعندما قاربنا المنازل المنورة ، التي جلت أن تكفيها مصورة ، طربت وحق الطرب ، بالوصول إلى المقر الأقرب ، وصبوت إخوان لهم اتصال أحب ، وخلان لهم ود من السر أعرب ، ولفرط انعاش بعن أنا قادم عليهم من أسلاف ، غبت عني كأني شربت صرف السلاف ، وأنست في سرى أنسا ، أنساني نفسي ، وخيل لي أني انفردت من أبناء جنسي ، وأن خدام الأسلاف والجدود تلقوني رافعين البنود ، فعظمت لدى ذاتي ، بوافر ساغر لذاتي ، وامتدت الأعناق وطالت ، وبهذا التلاق مالت ، وأخبر بعض من كان معي ، ومنهم الحاج حسن (بن مقلد الجيوسي) أن الجسم كبر وطال ، في تلك الساعة وذلك الحال ، وصادقه الغير ، ولم أشعر بهذا الغير

الشيخ يبدأ بالزيارة :

ودخلت من باب جبريل للزيارة ، وبلغ الطفل المتطفل على ساداته الأماجد بها أوطاره ، شرف القلب وشرق الجفن بدمعه وفرق . وزرت الحبيب بدمع صبيب ، « ومن زار مرقده ، وجبت له الشفاعة » كما رواه البيهقي وابن عدي في الكامل . وعنه صلى الله عليه وسلم « من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ، ومن زارني لا يهمه إلا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة » و « من لم يزر قبري فقد جفاني » وعنه صلى الله عليه وسلم « من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة »

« وأتيت الروضة وصليت ركعتي التحية ، وأعددتهما من المنة لحديث (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) وروى البيهقي من حديث جابر أنه قال « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وشهور رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام »

« ثم نهضت ثانيا لزيارة المرقد المعظم ، مواجها للوجه الكريم ، قائما بين يديه ، مكثرا من الصلاة والتسليم عليه ، وقرأت في المقابلة آخر براءة وآية (ولو أنهم ظلموا أنفسهم الآية) وكررت طلب الشفاعة ، وعممت الدعا لحاضر أو خاطر بالبال من أولاد وعيال وإخوان ، وألحقت سائر الأمة المحمدية

« وبعد أداء ما يلزم في هذا المقام ، توجهت لدار قرب باب السلام ، استأجرتها للنزول فيها ، كيما مواطن الوحي يصافيها ، وفي ثاني يوم في الصباح قصدت سكان البقيع ، وبعد زيارة سيدي عثمان ، عطفت على زيارة أغلب المشاهد ، وعنه « يا أم قيس أترين هذه المقبرة ، يبعث الله منها سبعين ألفا يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر » . وكررت على زيارة سيدي العباس عم سيد الناس ، وأخيه سيدي حمزة

« وفي اليوم الثالث من هذا المقر المدني ، بعد أداء فرض

العصر ، ودعنا الحبيب الأعظم ، وأنشدت فى السر قول ابن عماد :

فارقت طيبة مشغوفا بطيبتها وجئت مكة فى وجد وفى ألم
لكن سررت بأنى عند فرقتها ما سرت من حرم إلا إلى حرم

وبقينا على الأبيار ، وأوجفنا إلى قبور الشهدا الأخيار ، ومنها إلى (الجديدة) التى اصوصها غير مؤيدة ، وعرب حرب ، من لهم المعرفة فى الحرب ، هم حيات تلك الأرض ، وحياتها فى طولها والعرض ، فلو قطع دابر أعيانهم ، لخف قرط هيجانهم ، ولله تعالى خفى مراد ، فيما قدر وأراد ، فإن شرهم الآن فى زيادة ، تمت على العادة ، يريدون بوفد الله إمراً ، ويأبى الله إلا ما أراده وسرينا إلى (حنين) و (بدر) . ووفد للسلام المحب الفالح السيد محمد صالح نجل العالم المفرد الشيخ محمد الخليلى ، وفى (رابغ) أحرمنا وفى (قديد) لم نطل الإقامة ، ونزلنا (عسفان) والحر آذى الوجوه البسامة ، وممن أوقعته فى حبالها وأرضته ندى خبالها ، صديقنا الأواه ، الشيخ نور الله ، وفى فم وادى فاطمة ، دفن وأمواج الهم متلاطمة ، وهنيئا له كل حين فإنه يبعث فى الآمنين لحديث (من مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة) فإن قلت الوادى ليس من الحرم ، قلت ما قارب الشئ أعطى حكمه ، وقد دفن فيه على يمين الوادى بالنسبة للغادى . وما أحسن قول المحيوى مروى الصادى :

عرج ففى أيمن الوادى خيامهم لله درك ما تحويه يا وادى

ودخلنا مكة المشرفة عقب العشا ، ونزلنا أهل باب الملا ، ونزلنا دار الشريف يحيى بن بركات فحصلت لنا بها مسرات وبركات ، وبعد إتمام الزيارة ، ووضع مسدول الستارة ، والفوز بمشاهدة البيت المعظم ، والحوز على طواف القدوم ، عدنا لصلاة الجمعة ، ولما أذن المغرب سرنا إلى المعرف المطرب ، ووصلنا انتصاف الليل ، والحاج يسيل إليه كالسيل ، ونزلنا لصاق خيام ، كبيرة دائرة وإحرام ، وبعد الوقوف فى صفوف ، أهل الشفوف ، والتمتع بمعروف ذلك اليوم المعروف ، وما قلق القلب المطروب ، فيه إلا وقت الغروب لأنها كانت ساعة جامعة ، لقلوب أعيان الأكابر لساعة ، تفتق الجيوب وترتق فتق الغيوب ، تطهر من العيوب . وفى الحديث « لو يعلم أهل الجمع بمن حلوا لاستبشروا بالفضل من ربهم بعد المغفرة » وبعد أن جمعنا جمع التقديم ، وحصل للمؤخر هم جمع التقديم ، وقفنا الأرواح على المواصلة ، لما وقفنا لاستقبال الإمدادات الحاصلة ، وأكثرنا من التلبية والدعاء . عاملين بحديث « من أصبح يلبى غابت الشمس بذنوبه » وعنه (ص) « إذا كان عشية عرفة لم يبق أحد فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان إلا غفر له » قيل يا رسول الله أهل عرفة خاصة ، قال بل للناس عامة . ودخل الليل ، وختمنا الموقف بدعوات عامة ، وهب صبا الرضا والقبول وأقنا فى (المزدلفة) إلى مضى زلف من الليل لا زلفة ، وحين اعتدل ميزان الليل ، شمرنا الذيل ، وفى (منى) بعد رمى الجمار دخلنا مكة المشرفة قبل الغروب ، واجتمعنا بمن معنا فى دار الشريف ، وأتيت البيت المعظم لطواف الإفاضة ، وتضلعت من كاسات زمزم . ولم أدع النزول إلى حرم الحصول ، إلا من شدة وهج يؤذى المهج ، أو غلبة نوم ، وكان جاءنى محب ملهوف يأخذ الإجازة ، فأجزته وأهديته نسخة من ورد السحر المعروف ، فتوقف فى بعض محلات منه تنوف على الخمس ، فأريته الشرح الكبير ، المسمى (بالضيا الشمسى على الفتح القدسى) فزالت الإشكالات ، وقرأ إخوان من جماعتنا الورد المذكور فى الحرم الشريف ، وكنت أطوف على البيت الموصوف بالجمال ، ونجلس فى المواجهة فى أول الصفوف ، ونسمع نفثات الطائفين من سائر الصفوف . وقد أغرب إذ أعرب الفاروق مجدد ما بعد سابع الألوف ، بفضل الكعبة زادها الله شرفا على غيره بنوف

من رسالة من الحرم يطلبانه اجازة منه الشيخ البكرى :

« وجاءنى رجلان من أهل التمكين والعيان ، وعرف كل واحد الآخر أنه من مدرسى الحرم المصان ، وطلبا إجازة فى حديث الأولية فأسمعتهما الحديث الشريف ، وسأل أحدهما وهو المدعو بالشيخ محمد التكرورى ، عن الأسماء الإلهية ، فأشرت للأخ الأمجد الشيخ أحمد الموقت ، فتكلم معه ، فعرف أنه عارف نورى . ثم قال للفقير بلغنا أنكم تطالعون الفتوحات المكية فهل يمكنكم شرحها حرفا حرفا ؟ فبدت النواجذ استعجابا من كلامه ، وقلت له لو حاولت فهم ظاهر ألفاظ الخطبة لأعجزتنى قطعا ، فكيف ببحرها

الذخار ، فقال فيكم بركة . ثم ودع ورفيقه وسارا » فسألت عنهما فأخبرت أنهما من أكابر المدرسين الآن . وأخبرني السيد محمد التافلاتي أحد الأعيان في السفرة الثانية للروم بما قدمته فتحققت أنه وحيد زمانه . وقلت للذكور من سؤاله الثاني ، فقال ما سألك إلا وهو متحقق أنه يمكنك من حيث الفضل الرباني

« وأخبرت عن رجل مغربي مواطن ، في الحرم الشريف قاطن ، مراده الحج والعود للبلاد ، يدعى الشيخ ابرهيم من نسل سيدي عبد السلام بن مشيش صاحب الصلوات ، وحدثني مادحه أن المشار إليه لما نزل المدينة أقبلت أهلها عليه ، وانقادت له أكابرها لما السيد قبله ، وسمت إليه على الآماق إذ بجواره أنزله ، وقال إنه إذا جاء للمواجهة ، لا يدرى بمن حاذاه ولا بمن واجهه ، وما في المدينة المنورة بيت إلا وقد اتقد مصباحه دون زيت ، فسرت لزيارته مع المادح راغبا في دعوة صالحة ، ونظرة مخصوصة تجعل النفس للقرب صالحة ، وصحبني الأخ النبيل الشيخ أحمد فرأيته في جهة باب السلام مستقبلا بيت السلام ، فبادرته السلام ، فسر السرور التام ، ولم نطل الإقامة لئلا نشغله من طلبه ، وطلبنا منه قراءة الفاتحة ، والسؤال لنا من ربه ، حال مواجهة بيت ربه . وطفت طواف الوداع ، وطفت الدموع على الخدين تداع

الرجوع من الحج :

وفي سحر ليلة الجمعة بعد أن كررنا طواف الوداع برزنا إلى الشيخ محمود . وما زلنا بعده نرحل من محطة إلى محطة إلى أن أتينا على قبور الشهداء ، وبادرنا الزيارة

وفي الحديث (من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتب له حجتان مبرورتان) رواه الديلمي عن ابن عباس . وغب التحية أديت ركعتي التحية ، وعجلت الوجهة إلى المواجهة . وقرأت قوله (وعجلت إليك ربي لترضى)

« وبعد ما زرت سيد الشهداء ، على بعد مسافة ، دخلت قبة أخيه العباس ، وما برحت أتردد من الحرم إلى الدار المعهودة، لاغتنام بركات إمدادات لا يشار إليها مقصودة . وجاءني فيها عالم تقدير ، جناب الشيخ محمد الدقاق وهو مغربي وأخبر أن السيد الأعظم أمسكه في جواره وأنعم عليه بدنوه من نزله وقرب داره ، وذكر اشتياق النفس لمهجة أكباده من أولاده ، وطلب فاتحة بوصولهم إليه في هذه البلاد ، دون بلاده ، فأجبناه رغبة في دعوة منه صالحة ، وأخبرت أنه بعد ذلك نال مطلوبه وقضى الحق مصالحه ، ووفد بالمذكور على رجل يدعى عبد السلام ، فشكرت صنيعه ورجوت له العفو التام ، وذكر لي الجامع بهذا الجامع رجلا غريبا مهل لي من باعلوى يدعى الشريف على ،فقلت له سر بنا إليه ، نغتنم دعاه وأشياء مما لديه ، وكانت هذه الجمعية بطراز العصابة الألمية ، مباركة المبدإ والآخر لاشتمالها على ذكر سادات حوت في المفاخر ، وذكر السيد المشار إليه ، أغدق الله نعمه عليه » أن بعض أشياخه ممن يشرب من نقاخه ، ضمن بيتين لبعض السادة ، في قصيد وقيد إفادة ، وهما :

إذا لم نطب في طيبة عند طيب	به طاب طيب الحان أين نطيب
إذا ما استجاب الله منا دعاءنا	لدى أحمد المختار أين يجيب

ولقد أكرمنا غاية الإكرام ، وتلطف بنا في الصحبة ، وبعد ما عدت للمحل الحلي ، تأملت فيما على من فوائده أملي

« ولما عزمنا على الوداع الفظيع ، وقد أثر في القلب التقطيع ، وألم فيه سيوفا وأسنة ، حتى لمتلأت بها الأفئدة والأجنة ، وعدنا بعد العشاءين من المحل الخارج عن المدينة ، لأجل الزيارة والوداع ثانيا بنفوس مدينة ، وبعد الصلاة في حضرة الجمع والوجود ، ووداع ينبوع الهمم واللمع والجود ، أتينا نسيئة النفس ونقد المين ، على فراق روح الروح ، وعين العين

في العودة على طريق الحج :

وفي صباح ذلك اليوم المطير سرنا إلى (الجرف) بطرف مطير ، واللب منا أسير والقلب فاك كسير ، وما زلنا نطوى بسط البيد أي طي ، ونزوى هموم الفراق عند الأحباب أي زي ، إلى أن وصلنا مقاما اسمى هدية صبيحة لما أتمنا محطة قلنة (هدية) التي عمرها بعدنا بيسير صاحب الرأي الصائب المصان ، جناب

سليمان باشا (١) أحد أعيان وزراء آل عثمان، أثابه الديان

واجتمعنا يوم الثلاثاء العاشر من المحرم، بالجردة، فكان يوم الاجتماع لدينا معظم، وأقمنا فيها كالعادة، وسرنا طالبين الرحاب للاستفادة. وكانت المكاتبات الواصلة حركت ساكن الأشجان، وتقدمنا نسير مع الشمارة، لما أتعبنا مع الحج أهل الشمارة، غلمانه المطلقين اللسان، بالسب لسفاهة رأى وعدم إحسان، فحصلنا وإن خاطرنا راحة، من منازعتهم لم تدخل فى راحة؛ وسرنا نخب الملا ونحب الخلا لما حلا، إلى أن وصلنا (العلا) وأقمنا يومين. كانا فى البسط مثل توأمين، وأتينا (المدائن) وأقربنا منها أفازة مثلثة، إذ أمامنا الدار الحرا، النازحة المياه، فكانت للهلكات محدثة، وكان يوم الوصول إلى (المعظم) مهول، نهبت فيه المياه المعدة، وتلفت فيه أنفس لها عدة. ولم نقم فى هذه المحطة المضرة بالحاج، إلا مقدار ما له فيها محتاج، وأسرعنا إلى (المنزل الأخضر) فوصلناه قبل الفجر بوجه أنضر، وأقربنا منه أفازة الثائر، ولم يرو ركب الحج السائر، إلا لدى قلعة (جفيان) التى عمرها الوزير الثانى، جناب عبد الله باشا (٢) أمير حجنا الشامى قبل عامنا، وسرنا إلى منزلة (معان) والحق يجوده أمان، وأقمنا فى (الحسا) يوما لمارة جسر مهدوم، ويوم دخولنا على (الزرقا) والفؤاد مكلوم، ونحن فى الحفة كؤوس المسرة نسقى وفى بحرها نعوم، ورد على اللسان مطلع مقيد، فسمعه الأخ الحاج حسن (بن مقلد الجيوسى) فأنجبت غيوم، ثم تبعه آخر وثان وثالث، فطلب إثباتها لئلا تنسى ومطلع القصيدة:

سمعت حديثا يجلب البسط والصفا
فهيج شوقا للقاكأسه طفا

«وجاء كثير ملاقية، بالفواكه المتنوعة الشامية، فحرك ساكن أشواق، وجاءت أهل (جورة حوران) بالمآكل الطيبة التى لكلم جوع مضى فى المفازات معلبة، فأكلنا بهم فرحا بوصال قرب ديار، وشربنا من مائها العذب وجزنا سراعا إلى (المفرق) وحزنا طربا من القدم إلى المفرق، وجاءنا بعض إخوان سوابق عهد ومحبة، فسرنا القدوم لنشق أخبار منازل علت منه الرتبة، وكان صحبنا الأخ الفاضل الألمعى، خليفتنا الشيخ محمد المكتبى، وهذا الأخ اسمه مسطور فى الرحلة العراقية ناويا زيارة الديار القدسية، وتجديد آثار الصحبة المؤسسة، ومن هذه المحطة توجهنا إلى قرية تسمى (أصيلة) وبتنا بها والأنس بها حائق، ومنها ترحلنا إلى (طيبة بنى كنانة) ونزلنا (الصما) لما امتلأت بسهام المواصلة الكنانة، وبتنا بليلة طيبة، وفى الصباح شددنا على النوق، وقطعنا وادى العرب، ونحن فى سرور وطرب؛ ومررنا على (جسر الجامع) فلم ننزل لديه عند (عيون القصب) وبعد ما زال التعب شمرنا ذيل السير حيث اتقى الوصب، ونزلنا على (الجالوت) حصة، أذهبت عن الفؤاد غصة، ودخلنا بملاقية بنى صعب وجبل نابلس صباحا (جينين) وعندنا للأوطان حنين، وتوجهنا صحبة رفاق إلى قرية (كور) وبتنا بها ليلتين نسقى من علها ونهلها، وأوصلنا الذى أخذناه من أهلها لأهلها؛ وتوجهنا صحبة من ممنا إلى الديار المقدسة؛ والآثار التى على الأنوار مؤسسة، وبتنا فى (الزاوية) التى للهموم بالسرور زاوية، وقام بخدمتنا رضوان؛ فأرخنا راحة من رأى رضوان؛ ومنها إلى (بيتونيا) ولم نتجاوز لها حدا؛ وفى الصباح أقبلت الوجوه الصباح؛ ولم ندر لهم عدا!

«وحصل يوم الدخول والحصول، فى منازل عزت عن الحصول والدخول من البسط المقبول؛ لاسيما بملاقاة ثمرات أكباد، وقلت بعد الصلاة فى الحرم الشريف منى التحية

«وبعد الإقامة فى نزل السلامة، وورود الأحباب، مهينة بنيل الآراب؛ وردت الكتب المشرفة من الأصحاب والأنساب، مبشرة بتحصيل ما لم يكن فى حساب؛ وسطرت ما ورود منهم والجواب (فى الأردان) فانظر هناك تر العجاب. لأنى لم أختم تأليف هذا الكتاب إلا سنة خمسين. لما توجهت ثالثا لتلك الرحاب؛ على طريق مصر القاهرة بمعونة رب الأرباب

(تمت الرحلة)

أحمد سامح الخالدى

---

(١) هو سليمان باشا العظم، الوزير، والى الشام وصديق الشيخ البكرى (١١٤٥ هـ — ١١٤٧)

(٢) هو عبد الله باشا الأيديلى (١١٤٣ هـ) ترجمة المرادى ـ ٣ ـ ٤٣